

تفسير ابن كثير

وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا^ط وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ

جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا^ط وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدُونِ مِنْ بَعْدِ أَنْ

نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي^ج إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ^ج إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

وقوله : (ورفع أبويه على العرش) قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعني السرير ،

أي : أجلسهما معه على سريريه . (وخرؤا له سجدا) أي : سجد له أبواه وإخوته الباقون ،

وكانوا أحد عشر رجلا (وقال يآبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أي : التي كان قصها

على أبيه (إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) [يوسف : 4

[وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ، ولم يزل هذا جائزا

من لدن آدم إلى شريعة عيسى - عليه السلام - فحرم هذا في هذه الملة ، وجعل السجود

مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى . هذا مضمون قول قتادة وغيره . وفي الحديث أن معاذا

قدم الشام ، فوجدهم يسجدون لأساقفتهم ، فلما رجع سجد لرسول الله - صلى الله عليه

وسلم - فقال : " ما هذا يا معاذ ؟ " فقال : إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم ، وأنت أحق أن

يسجد لك يا رسول الله . فقال : " لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت الزوجة أن

تسجد لزوجها من عظم حقه عليها " وفي حديث آخر : أن سلمان لقي النبي - صلى الله

عليه وسلم - في بعض طرق المدينة ، وكان سلمان حديث عهد بالإسلام ، فسجد للنبي -

صلى الله عليه وسلم - فقال : " لا تسجد لي يا سلمان ، واسجد للحي الذي لا يموت "

. والغرض أن هذا كان جائزا في شريعتهم; ولهذا خروا له سجدا ، فعندها قال يوسف : (

يأبئ هذا تأويل رؤيائي من قبل قد جعلها ربي حقا) أي : هذا ما آل إليه الأمر ، فإن

التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر ، كما قال تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي

تأويله) [الأعراف : 53] أي : يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا من خير وشر . وقوله : (قد

جعلها ربي حقا) أي : صحيحة صدقا ، يذكر نعم الله عليه (وقد أحسن بي إذ أخرجني

من السجن وجاء بكم من البدو) أي : البادية . قال ابن جريج وغيره : كانوا أهل بادية

وماشية . وقال : كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين ، من غور الشام . قال : وبعض

يقول : كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حسمى ، وكانوا أصحاب بادية وشاء

وإبل . (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي) [ثم قال] (إن ربي لطيف لما يشاء

(أي : إذا أراد أمرا قىض له أسبابا ويسره وقدره ، (إنه هو العليم) بمصالح عباده)
(الحكيم) في أفعاله وأقواله ، وقضائه وقدره ، وما يختاره ويريده . قال أبو عثمان النهدي ،
عن سليمان كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة . قال عبد الله بن شداد : وإليها ينتهي
أقصى الرؤيا . رواه ابن جرير . وقال أيضا : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عبد الوهاب
الثقفي ، حدثنا هشام ، عن الحسن قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ،
ثمانون سنة ، لم يفارق فيها الحزن قلبه ، ودموعه تجري على خديه ، وما على وجه الأرض
عبد أحب إلى الله من يعقوب . وقال هشيم ، عن يونس ، عن الحسن : ثلاث وثمانون
سنة . وقال مبارك بن فضالة ، عن الحسن : ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة
سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وله عشرون
ومائة سنة . وقال قتادة : كان بينهما خمس وثلاثون سنة . وقال محمد بن إسحاق : ذكر -
والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانين سنة ، قال : وأهل الكتاب
يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب - عليه السلام - بقي مع يوسف
بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه . وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن

أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : دخل بنو إسرائيل مصر ، وهم ثلاثة وستون إنسانا ، وخرجوا منها وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا . وقال أبو إسحاق ، عن مسروق : دخلوا وهم ثلاثمائة وتسعون من بين رجل وامرأة . والله أعلم . وقال موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد : اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر . وهم ستة وثمانون إنسانا ، صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وخرجوا منها وهم ستمائة ألف ونيف .